قالوا عن الإسلام

إعداد

الدكتور عماد الدين خليل

الندوة العالمية للشباب الإسلامي

الرياض

النـدوة العالمية للشـباب الإسـلامي
ص.ب ١٠٨٤٥ ـ الرياض ١١٤٤٣
هاتف : ٤٦٤١٦٦٩ / ٤٦٤١٦٦٣
المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م

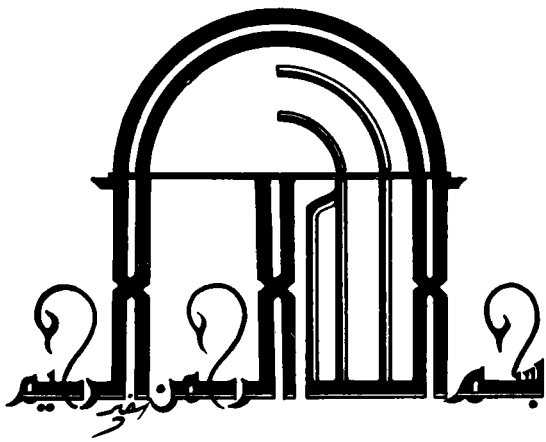
بسم الله الرحمن الرحيم

حقـوق الطبـع محفـوظــة
للنـدوة العالمية للشباب الاسلامي
ص.ب ١٠٨٤٥ ـ الريـاض ١١٤٤٣
هاتف : ٤٦٤١٦٦٩/٤٦٤١٦٦٣
المملكة العربية السعودية

فسح وزارة الاعلام رقم ١٤٣٧/ م وتاريخ ٢/ ٣/ ١٤١١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين، وعلى من دعا بدعوته إلى يوم الدين. وبعد:

يطيب للندوة العالمية للشباب الإسلامي أن تضع بين يدي القارىء الكريم هذا العمل العلمي الجديد (**قالوا عن الاسلام**) الذي ألفه لها الدكتور عماد الدين خليل.

وقد بدأت فكرة هذا الكتاب عندما أعدت الندوة عدداً من النشرات باللغة الإنجليزية للتعريف بالإسلام لغير المسلمين كان من بينها ثلاث مطويات هي:

١ ـ ماذا قالوا عن الإسلام.

٢ ـ ماذا قالوا عن القرآن.

٣ ـ ماذا قالوا عن الرسول ﷺ.

وقد لاقت تلك النشرات استحساناً كبيراً، وأصبحت مادة الدعوة للإسلام داخل المملكة وخارجها وترجمت إلى عدد كبير من اللغات الحية، ومن هنا نشأت فكرة تأليف كتاب جامع لهذه الشهادات، ولقد فكرت الندوة طويلاً في الفكرة ثم أعدت ورقة العمل التي توضح أمرها واستشارت فيها عدداً من العلماء في الداخل والخارج فجاءت الردود مشجعة جداً، مما يدل على أن هذا الكتاب المقترح سوف يسد ـ إن شاء الله ـ ثغرة يحتاج المسلمون إلى سدها. فطلبت الندوة من الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل أن يقوم بتحمل هذا العبء الكبير، فنهض بالكتاب نهوضاً مشكوراً نرجو أن يجده في ميزان حسناته، فقد دقق وتابع واستقصى ومهد بمقدمة مركزة أثرت الكتاب الذي جاء ثمرة لجهده ومعاناته ودل على أكاديمية مخلصة ودقيقة.

وهذا الكتاب يقدم مجموعة من الشهادات المنصفة في حق الإسلام، وقرآنه الكريم ونبيه العظيم، وتاريخه وحضارته ورجاله، وهذه الشهادات صدرت عن أعلام معظمهم من غير المسلمين، فيهم السياسي والأديب والشاعر والعالم، والعسكري، والرجل والمرأة.

وهذه الشهادات تؤكد أن الدنيا لا تخلوا من أحرار الفكر الذين يمكن أن يصلوا إلى الحق أو إلى جوانب منه، ويؤدوا حق الشهادة في ذلك. وإذا كان هذا يشكل بالنسبة لنا مادة للفخر والسرور، فإنه يزيد اعتزازنا بهذا الدين ويلقى علينا مسئولية كبيرة، وهي أن ننهض بواجب البلاغ، متوقعين أن نحقق مساحة من النجاح تتوازى مع اخلاصنا وجهدنا.

وربما يؤخذ على الكتاب أنه اقتصر على الاستشهاد بأقوال الغربيين الذين سبقوا عشر السنوات الماضية، كما اقتصر على الرجوع للترجمات العربية بينما ينبغي الرجوع إلى مختلف اللغات ليكون البحث أكثر شمولا، وأصدق تمثيلاً ولكن استحالة الاستيعاب والرغبة في الاقتصار على نماذج مختارة وحتى لا يطول الكتاب طولاً مملاً اقتصرنا على هذا الاختصار الذي نرجو أن لا يكون مخلاً.

كما نحب أن ننبه إلى أننا قد لا نتفق بالضرورة مع كل جزئية وردت في هذه الشهادة أو تلك، ذلك لأن لهؤلاء الشهود ظروفهم النفسية والاجتماعية التي قد تحجب عنهم جوانب من الحق، وكان من جملة أهدافنا أن نسوق شهادات غير المسلمين لأن (الحق ما شهدت به الأعداء)، كما تشكل تأكيداً لقناعة المؤمنين وحافزاً لبعض المتشككين الذين يحسنون الظن فيمن ننقل عنهم من أساطين الحضارة الغربية.

وقد جمع المؤلف ـ جزاه الله خيراً ـ مادة ضخمة من الشهادات والنقول التي رأت جمال الإسلام وكماله، ولكن الندوة تريد أن يحقق الكتاب هدفه بأيسر الطرق فاقترحت على المؤلف أن يختصره اختصاراً لا يخل بالمنهج وذلك بالابقاء على عدد محدود من الشهادات لكل صاحب شهادة يفي بالهدف الذي اختيرت الشهادات من أجله وهذا الذي كان.

ولـذلـك فإن الكتاب الذي بين يدي القارىء الكريم هو الطبعة المختصرة من المشروع الأصلي للكتاب.

هذا واننا نرحب بأي ملاحظة لدراستها والاستفادة منها في الطبعة الثانية، فالكمال لله عزّ وجلّ وحده، وكل عمل بشري بحاجة دائمة إلى المراجعة والتقويم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأمين العـام
للندوة العالمية للشباب الإسلامي
د. مانع بن حمـاد الجهـني

قالوا عن الاسلام

ملاحظات في المنهج

(١)

يبدو أن العقل الغربي ـ عموماً ـ يقف ـ إزاء الإسلام ـ في نقطة التوازن بين الشد والجذب باتجاهين متناقضين: النزعة العلمية الموضوعية والنزعة التحزّبية وكل ما يرتبط بها أو يوازيها من احساس استعلائي تجاه كل ما هو شرقي، ورغبة منفعية في تدمير ثقة الشرقيين بأنفسم.. إلى آخره.

بعض الغربيين يقدر على تخليص نفسه من أسر هذه النقطة فيميل إلى معالجة ما يتعلق بالإسلام معالجة موضوعية ويقترب من الحقيقة، بينما يندفع بعضهم الآخر باتجاه القطب المعاكس، فيقف موقفاً مضاداً يتأرجح بين السباب والشتيمة، وبين الحكم المنحاز المغطى من الخارج برداء العلمية وما هو منها بشيء.

وتبقى سائر المواقف الأخرى، كالموجب والسالب، متحركة على طَرفَيْ (النقطة) قرباً أو بعداً.

إن ما قدّمه الغربيون عامة، والمستشرقون على وجه الخصوص، يتضمن الابيض والأسود، ان على مستوى المنهج أو الموضوع، وليس كله سواء. بل ان الرجل منهم قد يتضمن كلامه، في نفس الوقت، الأبيض والأسود معاً، لأسباب عديدة منها قوة الجذب التي أشرنا إليها، ومنها الجهل ببعض المسائل، ومنها التأثيرات الذاتية والثقافية... إلى أخره.

«ان العقل الغربي الحديث ـ كما يقول سير هاملتون جب ـ يعسر عليه بوجه خاص، ان يقوم بمحاولة استكناه طبيعة المواقف الدينية لدى أناس تختلف نظرتهم إلى الكون اختلافاً بعيدا عن نظرة (الغربي)، لأن الدين، سواء أكان في صورة قوة محسوسة، أو قوة ذات أثر روحي، يتطلب تدريب ملكة الإدراك الحدسي، أي يتطلب

طفرة العقل التي تعبر خضم كل تلك المعلومات والمناهج المتبعة في التحليل العقلي. . وتتخطى حدوده لتستكنه بالتجربة المحسوسة وعلى نحو مباشر عنصراً من العناصر القائمة في طبيعة الاشياء مما لا يستطيع التعقل ان يصفه أو يحدد هويته. «الإيمان هو الثقة بما يرجى والإيقان بامور لا ترى». أما الرجل الغربي النموذجي الذي ورث الفكر الانكليزي العقلاني وقيم القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، واصبح موجها عقليا بقوة ذلك الفكر، أو بقوة الفكر الالماني وقيم السنوات المائة والخمسين الماضية، فقد هزلت وأهملت لديه ملكة الحدس حتى أنه ليأبى أن يسلم بمحض وجودها. ولذلك أصبحت احكامنا الدينية ـ نحن الغربيين ـ شديدة الاختلال»[1].

وهنا يجب أن نقف قليلاً عند مسألة (حدود النص) أو (الشاهد) وضرورة عدم ممارسة الاقتطاع القسري إزاءه، كيف يتم ذلك؟.

ان علينا أن نلاحظ كيف أن عدداً من الشهادات الايجابية بحق الإسلام أو جانب من جوانبه، من قبل هذا المؤلف أو ذاك يقابلها في الوقت نفسه ركام من شهادات أخرى سلبية تقف موقفاً مضاداً من الإسلام لكن هذا لا يمنع من اعتبار الشهادات الأولى بمثابة اعتراف (حرّ) بهذه القيمة أو تلك من قيم الإسلام، والتي تدفع الغربيين إلى اعلان رأيهم ذاك دونما أي نوع من أنواع الاضطرار أو القسر.

فكشهادات، وليس كموقف نهائي، يمكن أن تعتمد للدلالة على ما نحن بصدده فأما (الشهادة السلبية) فقد فرضت نفسها على نطاق واسع لأنها الأكثر حضورا وانتشارا في الفكر الغربي، ويستطيع المرء أن يجدها بسهولة في معظم الأعمال الغربية التي تمس الإسلام. وأما (الشهادة الايجابية) فهي التي تحتاج إلى مزيد من التأكيد والتنسيق واعادة العرض في اطار ملائم.

وهنالك فرق بيّن ـ بطبيعة الحال ـ بين خطيئة الاقتطاع القسري للشاهد لتأكيد فكرة ما في سياق معين قد يصل إلى أهداف ومواقع لم يفكر فيها صاحب النص أساساً، وبين استقصاء الشهادات الايجابية التي صدرت عن حشد من المفكرين الغربيين، من بين سيل من المعطيات تتميز بموقفها السلبي من الإسلام كما قلنا. فهاهنا تبدو الشهادة صدوراً حرّاً، وتقييماً ايجابياً لجانب من الإسلام ينبثق عن قناعة

(١) دراسات في حضارة الإسلام، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

تامة للمفكر، الذي يجد نفسه بعد لحظات، أو قبل لحظات يسدّد هجمة لجانب آخر، وربما للجانب نفسه من الإسلام، قد لا تبرّرها الموضوعية، ولكنها ـ على أية حال ـ تمثّل بدورها حلقة من قناعات ذلك المفكر.

وبما أن مهمة هذا الكتاب هي محاولة حصر قدر طيب من الشهادات الايجابية، كما يتضح من هدفه ومنهجه، فان الأمر يتجاوز كونه اقتطاعا قسريا للشاهد، إلى السعي العلمي المتبصّر لاستقصاء المعطيات الايجابية للمفكر غير المسلم، تلك التي إذا ما عرضت عليه أكد صدقها ثانية وثالثة ورابعة لأنه لم يقلها إلا بدافع قدرة الإسلام، في جانب ما من جوانبه، على تأكيد تميزه، وتفوقه وفاعليته.

وفي المقابل فان بمقدور أي قارىء أن يتابع الشهادات ذات الطابع السلبي في معظم المصادر التي اعتمدت هاهنا، وغيرها كثير، وهي مسألة ليست من مهمة هذا البحث، وقد تصدى لها بالعرض والنقد والدراسة، ولا يزال، عدد من المختصين والباحثين الاسلاميين ضمن توجهات منهجية اخرى.

ان عنوان الكتاب يحمل بوضوح بنية المنهجية القائمة ـ أساساً ـ على الانتقاء، البحث عن الشهادات الايجابية البنّاءة فقط، واؤكد على الكلمة، تلك التي صدرت عن أناس لم يكونوا يؤمنون بالاسلام، ثم جذب بعضهم إليه، وظل آخرون بعيدين عنه.

ومرة أخرى، فان ما قيل في الإسلام من مواقع التحزّب والخصومه والمصالح والظنون والاهواء كثير جدا، وليس ثمة من لم يغترف من سيله الطامي، ولو غرفة بيده، لكي يطلع على ما تتضمنه.

أما مهمة هذا الكتاب فشيء معاكس تماما: البحث عن المعطيات التي صدرت من مواقع الرؤية الاكثر نقاء وموضوعية والتي قد يحوطها، بالتأكيد، الكدر من بين يديها ومن خلفها، ومن ثم، وما دام أن الهدف واضح منذ اللحظة الأولى، فسنضطر إلى المنهج الانتقائي لوضع اليد على طرف الايجاب وحده، فالمسألة ليست مسألة بحث في واقعة ما، أو ظاهرة من الظواهر، أو حتى دين أو مذهب، لكي نتابع ما يتطلبه المنهج العلمي: تسليط الضوء على الابيض والاسود معا، وإنما هو محاولة لرصد جانب من الشهادات الايجابية التي صدرت بحق هذا الدين، من بيئات طالما اساءت إليه،

ومن ثم تحمل ـ أي المحاولة التي يمثلها هذا الكتاب ـ تبريرها العلمي الصريح في اطراح كل ما من شأنه أن يتناقض مع هذا الهدف الواضح المحدّد سلفاً.

وإذا كان الكتاب عملاً انتقائيا في هذا الاتجاه، فهو انتقائي ايضاً في الاتجاه المعاكس، أي باتجاه اسقاط الكثير من الشهادات الايجابية بحق الإسلام، تجاوزا للتكرار والتضخم. ويكفي أن تأتي الشهادة في هذا الجانب أو ذاك من جوانب الإسلام متمثلة بعدد مناسب من النصوص التي تمثل سياقاً نمطياً لا تعدو سائر الشهادات الاخرى ـ في اطاره ـ ان تكون بمثابة تأكيد يكرر نفسه بصيغ قد تكون متباينة شكلاً ولكنها تلتقي في المضمون.

ولا بدّ من الاشارة هنا إلى أن الكتاب، من أجل الهدف آنف الذكر، حاول، قدر الامكان، تجاوز شهادات التقييم الغربية التي انصرفت إلى ردّ مزاعم بعض الغربيين انفسهم، أو غير المسلمين عموماً، لأن هذه الشهادات لا تعدو أن تكون صيغاً ذات طابع (دفاعي) موجهة ضد معطيات سلبية، بينما تتجه مهمة الكتاب، كما رأينا، إلى الاكتفاء بالشهادات الايجابية (البنائية) التي تتحدث عن هذا الجانب أو ذاك بصيغة التقييم والاعجاب.

ان العديد من الاسماء التي سيجدها القارىء هنا تدلي بشهاداتها عن الإسلام، لا يحمل اعتمادها اي معنى من معاني التبرئة والتنزيه عن الميول والظنون والاهواء، وهي بالتالي ليست دعوة للقارىء إلى التوجه لمعطيات هذه الأسماء، والتسليم بها في تفاصيلها وجزئياتها كافة، أو في منهجها الذي اعتمدته، والذي قد يرتطم ابتداء بالمنهج الموضوعي الصحيح في التعامل مع هذا الدين.

ولو حدث أن توهّم القارىء ـ لحظة ـ ان ايراد هذه الاسماء، أو بعضها على الاقل، يتضمن دعوة لتقبّل استنتاجاتها ومناهجها كافة، فإن الغرض من هذا البحث المتواضع سينقلب رأساً على عقب، وسيقود إلى ضلالة أخرى. والمهم، كما أكدنا أكثر من مرة، هو أن ما يتضمنه الاسلام، وتاريخه وحضارته، من عناصر الجذب، والاشعاع، والقوة والاقناع، والاثارة، والانسجام مع التوجهات الانسانية الاصيلة، ساق هؤلاء، وأرغمهم، حيناً آخر، على الادلاء بشهاداتهم الايجابية جنبا إلى جنب، بالنسبة لبعضهم على الاقل، مع حشود من الاستنتاجات الخاطئة المضادة، بل إن

بعض تلك الشهادات الايجابية تتضمن في بنيتها ومفرداتها ـ كما أشرنا ـ سلبيات شتى، ممّا يجده القارىء أحياناً بسبب من طبيعة المنهج الذي يعتمدة الغربيون في التعامل مع الإسلام.

وثمة صيغة اخرى للعمل اضطررنا لتجاوزها خشية أن يتحول الكتاب إلى مشروع مناقشات وجدل ودفع للتهم الباطلة، فيفقد أهميته، وتوجّهه المطلوب، فضلاً عن أن أمراً كهذا مُورِسَ على نطاق واسع عبر العقود الأخيرة بصدد الفكر الغربي عامة، والاستشراقي على وجه الخصوص.

(٢)

ان شهادات الغربيين الايجابية عن الإسلام ليست ذات طبقة واحدة، وانما عدة طبقات[1]، فبعض الشهادات لا تعدو كونها تأكيداً لحقائق معينة في نسيج ديننا وحضارتنا، تارة بالترجمة الحرفية لنصوص الوقائع المستمدة من المصادر الإسلامية نفسها، أو الغربية، وتارة اخرى، بتركيز هذه النصوص، أو التوسّع فيها، مع المحافظة على جوهرها الأصيل. وهذا التأكيد، أو النقل، يمثل ـ بحدّ ذاته ـ اعترافاً ضمنيا أو مكشوفا بقيم الدين والحضارة الإسلامية، وتميزهما، فهو ـ إذن ـ يحمل أهميته كشهادة، خاصة إذا ما تذكرنا السيل الآخر المضاد من المعطيات الغربية التي استهدفت التشكيك بصحّة هذه الوقائع، وتحققها بالفعل، أو فسرتها تفسيراً خاطئاً يخرج بها عن كونها عناصر جيدة ترفد المجرى العام البنّاء الذي يشكل الإسلام والحياة الإسلامية، ويلقي عليها ظلاً يبعد بها عن جادة اليقين.

فها هي الشهادات الايجابية تجيء كإقرار أو أعتراف لكي تردّ هذا الهوى وتبعد ذلك السوء، وتعلن بالموضوعية التي يتطلبها التعامل الجادّ مع الحقائق، تأكيدها لما وقع فعلاً لا لما يريد أصحاب الظنون والاهواء أن يكون.

---

(١) يجب أن نتذكر أن الشهادات (السلبية) تتضمن هي الأخرى طبقات عدة يلي بعضها الأخر، هبوطاً، فهنالك طبقة التشويه، فالتشكيك فالنفي الذي مارسه العقل الغربي كثيرا ازاء ما يعتبر في المنظور الإسلامي من قبيل البداهات والحقائق المسلمّ بها. انظر بحثاً للمؤلف بعنوان: (المستشرقون والسيرة النبوية: بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتغمري وات) (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٥).

لكن هذه الشهادة لا ترقى إلى مرتبة الطبقة التالية التي تأخذ طابع التقييم الذي يصدر عن غير المسلم، تجاه هذا الجانب أو ذاك من الإسلام.

ثم تأتي الطبقة الثالثة، والاعلى مرتبة من الشهادات، متمثلة بمعطيات أولئك الذي انتموا فعلاً لهذا الدين، وقالوا كلمتهم في هذا الجانب أو ذاك من جوانبه، قبل انتمائهم أو بعده. إن هذه الشهادات تمثل سياقاً يحمل أهميته البالغة فيما نحن بصدده، لأنها تجيء بمثابة الدافع والشهادة في الوقت نفسه الدافع الذي قادهم إلى الإسلام، والشهادة على ما يتضمنه هذا الدين من قيم ومزايا لا تتوفر في المذاهب والعقائد الأخرى. ان هذا الانتماء ليعدّ بحد ذاته شهادة واقعية على صدق هذا الدين في تعامله مع الانسان المتحضّر، وقدرته على الكسب والانتشار.

وسيتابع هذا الكتاب، بالقدر المناسب، والأنماط، أو الطبقات الثلاث من الشهادات، مانحاً الأولوية للطبقتين الأخيرتين، خاصة وأن الطبقة الأولى قد حظيت بحشد غني من الكتابات، فضلاً عن أن أهميتها تنحصر في كونها تأكيدا فحسب لصدق الوقائع والمعطيات وتحققها في الزمن والمكان.

أما الطبقتان الأخريان من الشهادات فتجيء بمثابة استنتاج، أو تقييد أو استنباط نقدي، تجاه هذا الجانب أو ذاك من بنية الإسلام والحياة الإسلامية وهذا ـ بلا ريب ـ يحمل قيمة أكبر بكثير، بل إنه هو الذي يمثل الشهادة المطلوبة ها هنا، لأنه يركز مقولاته في صيغة مبادىء وقيم وتوجهات شمولية، يحكم بها، أو يصوغ بعبارة أدق، الكثير من أوجه الإسلام والحياة الإسلامية. وهكذا سينصب الإختبار بالدرجة الأساسية على هذا النمط مع عدم اغفال النمط الأخر بالكلية.

(٣)

يبدو من المستحيل استقصاء كل الشهادات التي قيلت بصدد الموضوع، ولكن ما يعوض هذا أن البحث ذو طابع نمطي، إذ تكفي في كل جانب منه شهادة عدد محدد من الأشخاص والمفكرين لكي يكون بمثابة عرض (نموذجي) لجلّ ما قيل في ذلك الجانب، وكثيراً ما يحدث أن تتناول عدة نصوص مسألة محددة وتمنح تأكيدها أو تقييمها لهذه الموضوعية أو تلك، بالمعطيات نفسها تقريبا، وهكذا فان ايرادها جميعا سوف يقود ولا ريب إلى نوع من التكرار والتضخم. إن قطعة القماش ما دامت ذات

نسيج واحد، فإنه لن يكون من قبيل الاعتساف اقتطاع عينات منها لكي تدل عليها جميعاً.

وقد يلحظ المرء عدم توازن في مساحة الشهادات المعروضة عن الجوانب المختلفة للإسلام والحياة الإسلامية، والسبب يرجع ـ حيناً ـ إلى مساحة الموضوع الذي تعالجه الشهادات، وحيناً آخر، إلى طبيعة المعطيات التي كانت تنصب بغزارة على جانب ما كالإسلام نفسه أو حضارته أو صيغ انتشاره وتعامله مع غير المنتمين إليه، بينما تقل في جوانب أخرى ـ ولكن مادام أن مسألة (كالأنتشار والتعامل) أو (الحضارة) هي بمثابة التحقق المنظور للإسلام في واقع الانجاز التاريخي، فإن اتساع المساحة الخاصة بها تجيء، بحدّ ذاتها، شهادة على عناصر القوة والعطاء والابداع والالتزام في الأسس الإسلامية التي قامت عليها الممارسة التاريخية، وفي القدرات العقيدية والنفسية والعقلية والاخلاقية التي فجرها الاسلام في اتباعه فدفعهم إلى تقديم هذا العطاء الواسع، الغني، الملتزم، المتشعب.

ولحسن الحظ، فإن الشهادت، بشكل عام، تشكل مع بعضها نوعاً من التكامل حيث ينصب اهتمام كل مجموعة منها على جانب ما من جوانب الإسلام والحياة الإسلامية. وهاهنا من أجل تجاوز التكرار والتضخّم، تم التركيز على أكثر الكتب، المتوفرة، أهمية وغزارة بالنسبة لكل مجموعة مع عدم اغفال المراجع الاقل مادة بطبيعة الحال.

مثلاً، يحمل كل من (انسانية الإسلام) لمارسيل بوازار و (الطريق إلى مكة) لليوبولد فايس (محمد أسد) و (دفاع عن الإسلام) للورا فيشيا فاغليري و(دراسات في حضارة الإسلام) و(الاتجاهات الحديثة في الإسلام) لهاملتون جب، أهميته البالغة في كثافة شهاداته عن الإسلام عقيدة وشريعة وعبادة وأخلاقاً وسلوكاً، ومن ثم يمكن اعتبار الكتب المذكورة بمثابة مراجع محورية في الفصل الخاص بالإسلام، حيث تليها في الأهمية سائر المراجع التي قدمت مادة أقلّ.

وما يقال عن الكتب آنفة الذكر بالنسبة (للإسلام) يمكن أن يقال ـ مثلاً ـ عن كتاب (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) لموريس بوكاي بالنسبة (للقرآن الكريم)، وكتاب (محمد الرسالة والرسول) لنظمي لوقا، و(حياة محمد) لاميل درمنغم

و(الابطال) لكارلايل، بالنسبة (للرسول ﷺ)، وكتاب (الدعوة إلى الإسلام) لتوماس ارنولد و(انسانية الإسلام) لبوازار بالنسبة (لانتشار الإسلام وطرائق معاملة غير المسلمين) وكتاب (حضارة العرب) لغوستاف لوبون و(شمس الله تسطع على الغرب) لزيغريد هونكه و(تأثير الإسلام على أوروبا في العصور الوسطى) لمونتغمري وات بالنسبة (للحضارة الإسلامية)، وكتاب (القوميات والدولة السوفياتية) لهيلين كارير دانكوس و(انسانية الإسلام) لبوازار و(الطريق إلى مكة) لليوبولد فايس بالنسبة لـ (واقع المسلمين مستقبلهم).

(٤)

إن كلمة (الإسلام) التي يتضمنها عنوان الكتاب، تجيء بشكل جامع يضمّ بين جناحيه الجوانب النظرية (العقيدية) والتطبيقية (التاريخية) على السواء باعتبار أن التاريخ الإسلامي بمعطياته السياسية والحضارية، برجالاته وجماهيره وتجاربه، تعبير عن الإسلام بدرجة أو اخرى، أو بعبارة ثانية: الحقل الذي تبرز فيه تأثيرات الإسلام في خطوط متفاوتة العمق. ومن ثم فإن الشهادات لن تقتصر هنا على الإسلام وحده، بقرآنه الكريم ونبيه عليه السلام ومعطياته العقيدية والتشريعية... إلى آخره، وإنما تنسحب على صيغ التحقق في الزمن والمكان، أي في التاريخ.

وبما أن الشهادات المنصبة على التاريخ السياسي والعسكري للإسلام باحداثه واشخاصه ووقائعه وتوجهاته، تدور في معظمها ضمن طبقة تأكيد الحقائق لا تقييمها، وتجاوزا للتضخم فسوف يتم قدر الامكان تحاشي الشهادات التي قدمت في هذا الاطار، إلّا قلّة منها، أما الحضارة فان أمرها يختلف وأن الشهادات في دائرتها لتتوزع بشكل عادل بين التقييم والتأكيد.

وقد نلحظ ـ أحياناً ـ بعض الغربيين يستخدمون لكلمات من مثل (عربي) و(حضارة عربية) و(فكر عربي) و(تاريخ عربي)... إلى آخره رغم أن تحليلهم ينصبّ على مساحة بشرية أوسع بكثير، تضم بين ظهرانيها جماعات وشعوباً أخرى غير عربية.

لا داعي لأن نعيد القول في هذه المسألة، ويكفي أن ننبّه عليها مرة واحدة والمهم هو أن شهادات هؤلاء الغربيين تتجاوز في مضامينها ـ معظم الاحيان نطاق التسمية

المحدودة صوب كل ما هو إسلامي، يمثل العرب ـ ولا ريب ـ مساحة كبيرة منه، إلى جانب جماعات وأقوام وشعوب أخرى كثيرة انضوت إلى هذا الدين، أو عملت في نطاق دوله وحضارته.

ثم إننا يجب ان نلاحظ أن كلمة (الغربيين) التي تتردد في مقدمة هذا الكتاب وفصوله، تُقصد بها في معظم الأحيان: غير المسلمين عموماً سواء كانوا أوروبيين وأمريكيين أو حتى شرقيين، لكن المساحة الأوسع تبقى، ولا ريب، (غربية) بالمفهوم الجغرافي والحضاري.

(٥)

يتضمن الكتاب مدخلاً وسبعة فصول تتفاوت في مساحاتها استناداً إلى حجم المادة المرصودة في كل فصل.

يتحدث الفصل الأول عما قيل في (القرآن الكريم)، ويتحدث ثانيها عن (رسول الله ﷺ): الشخصية والسيرة والحديث والسنة، بينما يتجه ثالثها، وهو أكبرها حجماً، إلى (الإسلام) بكافة جوانبه العقيديه والتشريعية والتعبدية والاخلاقية والسلوكية. أما الفصل الرابع الذي يتميز باتساع رقعته، اسوة بالذي سبقه، فينتقل للحديث عن معطيات الإسلام التاريخية بصدد اثنتين من أهم المسائل: الانتشار ومعاملة غير المسلمين. وهما مسألتان مرتبطتان أشد الأرتباط، متداخلتان مع بعضهما كنسيج واحد ولذا تم تناولها في إطار فصل واحد.

وأما الفصل الخامس الذي يتميز هو الآخر باتساعه، فيقف عند المعطيات الحضارية، محاولاً قدر الأمكان تجاوز التفاصيل والجزئيات، مركزاً على الشهادات ذات الطابع الاستنتاجي والتقييمي، وبخاصة تلك التي تتحدث عن أبعاد الدور العالمي الذي لعبته حضارة الإسلام في مجرى التاريخ.

أما الفصلان الأخيران الأصغر حجماً فيعالج أحدهما بعض ما قيل بصدد جانب مهم من النسيج الاجتماعي للإسلام والمجتمع الإسلامي: المرأة والأسرة، ويتناول ثانيهما نماذج من الشهادات التي قيلت عن واقع الإسلام الراهن ومستقبله القريب والبعيد. وقد حاولتُ هَاهنا ـ قدر الأمكان ـ أن التقط الأقوال ذات الطابع الشمولي، متجاوزا الكثير مما قيل عن هذه الحركة الإسلامية أو تلك، مما يتضمن حشوداً كبيرة

من التفاصيل والجزئيات لا يتسع لها الكتاب.

ويجب أن نلاحظ ما يحدث أحياناً من تداخل بين معطيات بعض الفصول، فإن عدداً من الشهادات التي تنصب على شخصية الرسول ﷺ مثلاً، قد ترتبط بشكل من الأشكال، بجانب ما من جوانب القرآن الكريم أو الإسلام، أو غيرهما من الموضوعات، وبالعكس. ومهما يكن من أمر فإن تصنيف الشهادة في مواضعها التي يلحظها القارىء إنما يعتمد على مركز الثقل فيها.

هذا وقد رتب الشهود في كل فصل وفق التسلسل الأبجدي لأسمائهم كما نظمت النصوص بالنسبة لكل شاهد وفق سياقها في المصدر المعتمد، وليس وفق الموضوعات الفرعية التي تعالجها، وذلك من أجل سهولة الرجوع إلى المصدر المعني، وأعطي لكل شهادة رقم خاص، وفي حالات محدودة، أعتمد القوس المربع [ ] الذي يخترق النص بإيضاح : أو ربط ما لتمييزه عن سياق النص، كما أن النقاط (. . .) التي تسبق النص أو تتخلله أو تختتمه، أريد بها التأشير على مكان الحذف في النصّ.

ولقد وردت بعض أسماء الأعلام التي تبدأ بحرف G الانكليزي (مثل Gibb) حسب رسم الحرف في المصدر المعتمد، حيناً بالغين (غب)، وحينا بالكاف (كب) أو الكاف الفارسية (كب) وحينا بالجيم (جب) التي تلفظ لدى المصريين بالكاف الفارسية. وحبذّا لو تم الاتفاق بين المترجمين العرب على رسم موّحد لهذا الحرف المربك.

أما تعريفات الأعلام فقد وردت مرتبطة بأول فصل يدلي فيه المؤلف بشهادته، فإذا كان سير توماس ارنولد، على سبيل المثال، قد قدّم شهادة ما في فصل (القرآن الكريم)، ورد تعريفه هناك، والاّ فإن التعريف سيرد في الفصل التالي، وهكذا. وقد استقيت مادة التعريف من المراجع نفسها حيناً، وبخاصة تلك التي يسهم في كتابة فصولها عدد من المؤلفين أو المتحدثين كما هو الحال ـ مثلاً ـ بالنسبة لكتاب (تراث الإسلام) الذي أشرف توماس ارنولد على تحريره، وكتاب (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة) الذي تولى جمعه محمد خلف الله، وكتاب (رجال ونساء أسلموا)، القيّم، ذي الأجزاء العشرة التي تولى جمعها وتأليفها عرفات كامل العشّي، وكتاب (ما يقال عن الإسلام) للعقاد. ولكن جلّ التعريفات استمدّت من كتاب نجيب العقيقي